العرب
الجمعة 2021/10/29
السنة 44 العدد 12224

فنان ليبي يزاوج بين الذاتي والموضوعي بدقة عالية شكلا ولونا

جمعة الفزاني يقفز خارج نمط التشكيل الليبي عبر لوحات واقعية

سيارة «خردة» حمّالة للعديد من الدلالات والرموز

بعيدا عمّا درج معظم الفنانين الليبيين على رسمه في لوحاتهم التي تحتفي عادة بالموضوعات التراثية المتعلقة بالبيئة والأزياء والحلي والوجوه والطبيعة مع اختلاف المعالجات، ينفرد الفنان الليبي جمعة الفزاني بأسلوب خاص ينهل من المدرسة الواقعية ليرسم موضوعات موغلة في المعاصرة بدقة عالية شكلا ولونا.

عدنان بشير معيتيق
فنان تشكيلي ليبي

رغم انتشار المدرسة الواقعية بشكل كبير في الحركة التشكيلية الليبية وتطلّع الكثيرين وحتى الناشئة من الفنانين إلى الرسم بحرفية كبار هذه المدرسة، إلا أن القليل منهم يتقن هذا الأمر ويتميّز فيه.

أتحدّث هنا عمّن يصل إلى مصاف العمالقة أمثال: روبنز، ورفائيلي، وكارافاجيو أو حتى غوستاف كوربيه وإدوارد هوبر ويحسن توظيف هذه البراعة التي يمتلكها البعض منهم، وإنتاج أعمال ذات قيمة فنية رفيعة من حيث المبنى والمعنى في آن واحد، وإضفاء ملامح معاصرة عليها تخاطب عصره وتشير فيها إلى وقته وذائقته ورؤاه في العديد من القضايا الراهنة.

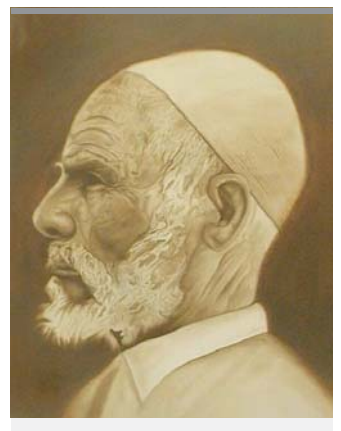

الفزاني لا يسعى إلى التشبيه بقدر ما يهتمّ بالفكرة وإحالتها إلى عوالم أخرى غير المحاكاة والتمثيل المباشر

والفنان الليبي جمعة الفزاني من الذين أتقنوا الرسم الواقعي واستيفاء شروطه التي اتّفق عليها منذ أن ظهرت أول لوحات كوربيه وغيره من رواد الواقعية في منتصف القرن التاسع عشر إلى آخر ما تمّ إنتاجه في معامل الواقعية الفائقة وما تبعها.

والفنان الفزاني يرسم في منطقته الخاصة متفرّدا بأسلوبه الرصين مخاطبا المتلقي بنبرة هادئة وصوت واثق، وعبر رسائل أنيقة يغلب عليها الوضوح، وبأفكار تتّسع لها آفاق أعماله الناضجة، لتتّخذ مكانا رفيعا في مدارج الفن الليبي المعاصر، حيث الانتباه إلى المواضيع المعاصرة جدا والأفكار الحديثة في المعالجة والتقديم كتلك التي تهتم بها المدرسة الأميركية فائقة الدقة.

رسائل أنيقة

وهنا تحضر على سبيل الذكر لا الحصر لوحة "مقبرة السيارات" التي تعدّ من أجمل ما تمّ إنتاجه في مدرسة الواقعية الليبية، وهي التي تحمل العديد من المدلولات والرموز، ويمكن إسقاط أفكار وقصص عليها، أو اعتبارها لوحة ذات جمال محض لتناسق ألوانها وتجاورها بأسلوب فني حديث.

فرغم صعوبة التفريق بين التجارب الليبية في الرسم الواقعي والتمييز بينها عند المتلقي العادي، بل ربما يفضّل الرديء منها على الجيّد كنتيجة طبيعية لانتشار الأمّية البصرية، وكذلك بين الكثير من الأدباء والمثقفين، كتاب وشعراء قبل الناس العاديين وتعلقهم بالوضوح والمباشرة ومحاولة ترجمة كل ما يتم رسمه من نصوص مرسومة إلى نصوص مكتوبة في قصص وحكايات، فإن الأمر يختلف مع الفزاني.

الفنان لم يتجرّد من خياله وذائقته رغم واقعيته في أعماله الفنية المنجزة، بل أضفى عليها ألوانه المفعمة بالمشاعر الإنسانية، فكانت لوحة مقبرة السيّارات "الرابش" متعدّدة الألوان مزدهرة وكأنها حديقة ممتلئة بكافة أنواع الزهور والشتلات، في إشارة إلى حياة كاملة مع كل سيارة مركونة في هذه الباحة، وكل ما تحمله بين حطامها من قصص بأفراحها وأحزانها، فكل واحدة منها كالكائن الحي لها شركاؤها وأحباؤها في حياتها التي مضت.

أصحاب وعائلات رافقوها في رحلاتها الطويلة، في أيام صيفية وأخرى شتوية معتمة في بداياتها وهي جديدة، وفي نهايتها بعد أن تكسّرت بها الأيام وانتهت صلاحيتها بحادث أو بالتقادم بعد طول استعمال.

وحتى إن نزعنا عن تلك المفردات كل أشكالها المتقنة ومهارتها في نقل الواقع وأبعاده التي تميّزها مع الإبقاء على ألوانها ككتل لونية متراصة وبقع منتشرة في أرجاء لوحاته، فإنها ستبقى بألوانها الأجمل والمفعمة بالحياة لاختياراته الموفّقة في هذه الألوان الصريحة والمعاصرة التي تنفذ إلى سَرائر البشر وأرواحهم، تستدعي متعة بصرية مجرّدة من مواضيعها التي أشرنا إليها كإضافة لقيم جمالية خالصة.

دقة في التوصيف وبراعة في التلوين

الواقعية الفائقة التي ينتمي إليها الفنان هي امتداد طبيعي للمدرسة الواقعية، خصوصا تلك التي تبلورت شروطها في فرنسا عند الفنان كوربيه في منتصف القرن التاسع عشر.

ألوان الأرض

كانت فكرة الابتعاد عن سيطرة الأدب والفلسفة والاتجاه مباشرة إلى تصوير الواقع كما هو، واستعمال الألوان الترابية "ألوان الأرض" كنوع من التواضع، والابتعاد عن المثالية التي كانت في الأعمال الكلاسيكية الأولى والتي كانت محصورة في موضوعات دينية وأخرى طبقية كتصوير الملائكة والأنبياء والقدّسين والملوك وانتصاراتهم والنبلاء وحياتهم المترفة والأرستقراطية. لتتّجه بعدها إلى تصوير كل الناس بمختلف مستوياتهم الاجتماعية بنفس الأسلوب في تفاصيل حياتهم اليومية وقصصها المختلفة، خصوصا بعد ظهور الأدب الطبيعي في فرنسا وكتّابه أمثال بلزاك وإيميل زولا وغيرهما.

وفي ستينات القرن الماضي تبلورت معايير جديدة للواقعية التي أصبحت تسمّى بالواقعية الفائقة في معرض دُوكومنتا بألمانيا وبعدها في فرنسا في بداية السبعينات، ثم وجدت هذه الحركات قبولا كبيرا في الولايات المتحدة مع نهاية القرن العشرين في كافة أنواعه: الرسم والنحت والتصوير الفوتوغرافي والأدب.

فالرسم عندما يتماهى مع الفوتوغرافيا ويسعى إلى مستوى تمثيل الصورة ومضاهاتها بل ربما يفوقها في الوضوح، تبدو مثل هذه الأعمال أكثر قربا من التصوير الفوتوغرافي، ما لم يستدرك الفنان هذه الأمور ويضفي عليها من روحه قيمة تشكيلية مضافة لا تسعى إلى التشبيه بقدر ما تهتمّ بالفكرة في أساسها وإحالتها إلى عوالم أخرى غير المحاكاة والتمثيل المباشر، والتي أدركها الكثير من الفنانين عبر تاريخ فن الرسم، فمنهم من اهتم بالأفكار الجديدة والمعاصرة ومنهم من اتجه إلى الداخل.

داخل النفس البشرية، أصبحت أعماله تشير إلى المواضيع الأكثر إنسانية مثل الوحدة عند الأميركي إدوارد هوبر، والفزاني كانت له ملامحه التي ظهرت في أغلب أعماله، والتي كانت تقترب من المعالجة الإنسانية العميقة والمتمثلة في كافة مواضيعه المرسومة في كل مراحله الفنية.

وجمعة محمد الفزاني من مواليد طرابلس في العام 1962، درس الرسم بشكل شخصي، وكان للقصص المصوّرة كمجلات السوبرمان والوطواط ورسومات الكاريكاتير عند الفنان محمد الزواوي تأثير كبير على بداياته الفنية، كان قد التحق بالجيش منذ عام 1979 إلى أن استقال من الخدمة في العام 1988، وهو العام ذاته الذي بدء فيه العمل بقسم النشاط الجامعي كرسام وموظف مسؤول عن النشاطات والمعارض التشكيلية التي تقام في الجامعة في مختلف الكليات الموجودة بها، فصمّم العديد من الشعارات والتصاميم للجامعة، وهو لا يزال يعمل إلى يومنا هذا.

ومع انطلاق دار الفنون بطرابلس في العام 1993 شارك في العديد من معارض الدار مع العديد من الفنانين الليبيين، كما أقام معارض في دار حسن الفقيه حسن ودار عبدالمنعم بن ناجي وقاعة الكنيسة مريم في فترات مختلفة، إضافة إلى مشاركات أخرى في بنغازي والزاوية وزوارة وغدامس. وللفنان أعمال مقتناة من العديد من سفراء دول كندا وفرنسا والولايات المتحدة والبرازيل والإمارات وغيرها.

سوريا تحتفي برحلة أسماء فيومي مع التجريد على مدى نصف قرن

دمشق - يقام حاليا بالمركز الوطني للفنون البصرية بالعاصمة السورية دمشق معرض استعادي للفنانة التشكيلية السورية أسماء فيومي، ضمّ أعمالا ولوحات استغرقت في إنجازها مدة خمسة وخمسين عاما منذ تخرّجها من كلية الفنون الجميلة عام 1966 وحتى الآن.

وتنوّعت أعمال المعرض في أحجامها من الصغيرة إلى المتوسطة وصولا إلى الأعمال الجدارية، كما تنوّعت من حيث التقنيات اللونية سواء الأكريليك أو الزيت إضافة إلى تنوّعها أيضا في المواضيع المطروحة التي جمعتها ريشة فيومي وألوانها.

وقالت التشكيلية السورية إن الأعمال تمتدّ من المرحلة الأكاديمية التي ضمّت أربع لوحات، مرورا بالمرحلة التجريدية التي كسرت فيها الأشكال الواقعية مبتكرة أشكالا جديدة اعتمدت بشدة على البقع اللونية، ليكون لكل لون درجات تعكس هذه المرحلة، وصولا إلى المرحلة التعبيرية التجريدية، والتي جمعت فيها كل القضايا التي عملتها بالتجريد، وهي مرحلة ممتدّة في مشوارها الفني.

كما شمل المعرض لوحات عن الحرب، وأخرى لم تعرض سابقا، تناولت فيها الأمومة وعلاقة الأم بالطفل معبّرة فيها عن هواجسها بالإنسان والوطن، وثالثة عن مدينتي القدس وغزة ورابعة صوّرت فيها بورتريهات لأشخاص من وحي ذاكرتها أو خيالها.

وعن بدايتها الفنية، تقول "أنا من مواليد العاصمة الأردنية عمّان في العام 1943، في صغري كنت مهتمة بكتابة الشعر، ثم اتجهت إلى التعبير بالريشة والألوان، فشجعني الأهل واحترموا موهبتي ورغبتي في دخول كلية الفنون الجميلة بدمشق التي تخرّجت فيها عام 1966 قسم التصوير، وبعد تخرجي عملت مهندسة ديكور في التلفزيون السوري ومحاضرة في مركز الإعداد الإعلامي التابع لجامعة الدول العربية".

ولا يخضع الفن لدى فيومي للعقل بل للإحساس الداخلي والعاطفة والخيال، حيث اتجهت في أعمالها إلى الفن التجريدي، لأنها وجدت فيه مجالا خصبا لترجمة تأملاتها الشخصية الميّالة إلى إظهار المشاعر والأفكار الجوانية، وهي التي تسعى في كل تجربة لابتكار أشكال لونية جديدة وتحويل الإنسان من طبيعي كلاسيكي إلى شخص تتخيّله يخدم فكرة درامية معينة.

وعن لوحاتها التي تحدّثت عن الأزمة السورية، قالت "يُعدّ الرسم بالنسبة إليّ الهواء الذي أتنفسه، لذلك لم أتوقّف عن العمل طوال فترة الأزمة السورية، فكنت أرسم إحساسي الحزين عن كل ما يحدث في وطني، فلم أكن أرى سوى اللونين الأبيض والأسود، حيث انعدمت الألوان الزاهية في داخلي ما انعكس على لوحاتي، ورغم أنني لست سياسية، ولكنني أتأثر بالهواجس الإنسانية، هواجس الوطن والأم، فأيّ مشهد لا إنساني يدخل في ضميري الداخلي والوجداني لأعبّر عنه وأجسّده في لوحة ما".

وتابعت "تزدحم لوحاتي بوجوه نساء وأطفال تربطهم علاقة حميمة مع الأرض مستوحاة من الأساطير السورية القديمة التي تعتبر وجه المرأة بمنزلة أرض الوطن، فرسمت المرأة ضمن المدينة، ورسمتها داخل البيوت وهي تحتضن الطفل، لأن المرأة والطفل هما أسطورة الخلق، فالفن ليس فوضى بل هو خلق خالص، والفنان الذي يرسم ما بداخله لا يمكن أن تكون أعماله تكرارا لأعمال غيره، لأن لكل فنان داخله الخاص، ومن هنا تعدّ الألوان والمواد وطريقة استعمالها خرقا لأساليب مكرّرة وعنصرا مساعدا على التجديد".

وعن علاقتها بالألوان والأدوات، تقول "ألواني تأتي فجأة وتذهب فجأة فيسكنني اللون لفترة ويستولي على عينيّ لدرجة لا أستطيع الفكاك منه، وعندما أتحرّر منه يسكنني لون آخر ولا أرغب في العودة إلى اللون السابق، إلاّ عندما يتسرّب قليلا في الزوايا ويصبح جزءا من رؤياي، أما المواد فهي أحد مفاتيح التغيير وعندما تستخدم الكولاج بمواد نبيلة كالورق والخيوط الكتانية، فإن هذه المواد تنقلني بلطف للتحرّر من التكرار وإيجاد حلول جديدة، فاللوحة مسألة تحتاج إلى حل كمسألة الرياضيات عناصرها التكوين والتوازن والمضمون والعطاء العاطفي ضمن مقاييس التشكيل الأكاديمية بغض النظر عن الأسلوب سواء أكان تجريديا أو واقعيا".

سعد القاسم

يصعب وصف أسلوب الفنانة بالتجريدي رغم ما فيه من اختزال

ولا تخفي الفنانة السورية المخضرمة عدم إيمانها بالمدارس الفنية، كالانطباعية والتجريدية والتكعيبية وغيرها، بل تؤمن بالفن الذي يتدفّق من الداخل ليظهر فجأة وبشكل تلقائي ويعبّر عن الفكرة حسب منظور صاحبها، وهو ما تصفه بالتعبيري، فكل إنسان يعبّر بطريقته الخاصة، وهي في ذلك لها تعبيرها الخاص الذي لا يشبه الآخرين، والرسم هو لغتها، حيث تعبّر عن الكلام بالرسم والألوان، مشيرة إلى اهتمامها منذ الستينات باللوحات الجدارية، لأنها تعطيها مشاعر متدفقة.

أما الناقد الفني سعد القاسم فيقول عنها "ولدت فيومي في عمّان، وعاشت في دمشق، حيث انتسبت إلى كلية الفنون فيها في فترة شهدت جدلا واسعا، لا يزال مستمرا بشكل من الأشكال حول اتجاهات الفن المعاصر مع ما وصف يوما بعاصفة لاريجينا نسبة إلى الرسام الإيطالي غيدو لاريجينا الذي درّس في الكلية في تلك الفترة منحازا بشكل كلي إلى التجريد، خالقا اضطرابا كبيرا في مفاهيم التدريس، المضطربة أصلا حينذاك".

ويضيف "ومع أن فيومي قد حكت عن تأثرها بالرسام الإيطالي، فإنه يصعب وصف أسلوبها بالتجريدي رغم كل ما فيه من اختزال وتلخيص، وقد تكون التعبيرية أقرب لوصف لوحاتها التي لم تفقد يوما أصولها الواقعية، مهما بدت هذه الأصول مرمّزة، أو مخبأة في ثنايا الخطوط الصريحة أو الألوان المتضادة التي تصنع خصوصية اللوحة، وتمنح صاحبتها صفة الملوّنة باقتدار، بصرف النظر عن عدد الألوان المستخدمة، فالألوان في لوحة فيومي تمتلك حيوية مدهشة حتى لو بدت شحيحة في مكان ما، ذلك أنها تمتلك حضورا قويا وقدرة تعبيرية فائقة هي بعض ما يدفع لوضع التجربة بأكملها تحت عنوان التعبيرية".

وجوه تغوص من العميق إلى الأعمق